

الكفايات والضعيات في مجال التربية والتعليم

د . جميل الحمداوي

إذا كانت بيداغوجية الأهداف تجزئية وهرمية ولا سياقية، فإن بيداغوجية الكفايات سياقية وشاملة و مندمجة ووظيفية. وتعد الضعيات من أهم العناصر التي تركز عليها الكفاية، ومن أهم محكاتها الجوهرية لتقويمها إنجازا وأداء ومؤشرا. ولا يمكن تصور الكفايات بدون الضعيات تماما؛ لأنها هي التي تجعل من الكفاية وظيفة لا سلوكا، وهي التي تحكم على أهلية القدرات و مدى ملائمتها للواقع وصلاحياتها للتكيف مع الموضوع أو فشلها في إيجاد الحلول للمشاكل المعيقة.

1/ تعريف الكفاية:

قبل تعريف الضعيات، علينا أن نعرف الكفاية والمقصود بها لكي نتضح دلالات مفهومنا الديدكتيكي الذي نريد الخوض فيه، وهكذا نعرف الكفاية عند جيلي بأنها " نظام من المعارف المفاهيمية (الذهنية) والمهارية (العملية) التي تنظم في خطوات إجرائية، تمكن في إطار فئة من الضعيات، من التعرف على المهمة – الإشكالية وحلها بنشاط وفعالية" (1). وتعرف الكفاية كذلك على أنها " هدف- مرمى متمركزة حول البلورة الذاتية لقدرة التلميذ على الحل الجيد للمشاكل المرتبطة بمجموعة من الضعيات، باعتماد معارف مفاهيمية ومنهجية مندمجة وملائمة" (2). ويعرفها فيليب بيرنو بأنها " القدرة على تعبئة مجموعة من الموارد المعرفية (معارف، قدرات، معلومات، الخ) بغية مواجهة جملة من الضعيات بشكل ملائم وفعال" (3). ويرى د. محمد الدريج أن هذه الكفايات " ينظر إليها على أنها إجابات عن وضعيات- مشاكل تتألف منها المواد الدراسية" (4). وفي رأبي، أن الكفاية هي مجموعة من القدرات والمهارات والمعارف يتسلح بها التلميذ لمواجهة مجموعة من الضعيات والعوائق والمشاكل التي تستوجب إيجاد الحلول الناجعة لها بشكل ملائم وفعال. ويظهر لنا من مجموعة من التعاريف للكفاية أنها تنبني على عناصر أساسية يمكن حصرها في:

1- القدرات والمهارات؛

2- الإنجاز أو الأداء؛

3- الضعيات أو المشكل؛

4- حل الضعيات بشكل فعال وصائب؛

5- تقويم الكفاية بطريقة موضوعية.

وهكذا، يبدو لنا أن الكفاية مرتبطة أشد الارتباط بالضعيات/ الإشكالات، أي أن الكفاية قائمة على إنجاز المهمات الصعبة وإيجاد الحلول المناسبة للمشاكل المطروحة في الواقع الموضوعي. إذا، فالعلاقة الموجودة بين الكفاية والضعيات هي علاقة استلزام اختباري وتقييمي وديداكتيكي.

2 الضعيات والسياق: -Situation et contexte-

إذا تصفحنا معاجم اللغة العربية كلسان العرب والمعجم الوسيط فإننا لا نجد كلمة الضعيات بهذه الصيغة؛ بل نجد كلمة وضع موضعا ومواقع الدالة على الإثبات في المكان، أي أن الضعيات بمثابة إطار مكاني للذات والشيء. (5) ولكن في اللغات الأجنبية نجد حضورا لهذا المفهوم بشكل واضح ومحدد. ففي معجم أكسفورد الإنجليزي نجد أن الضعيات تعني " معظم الظروف والأشياء التي تقع في وقت خاص وفي مكان خاص" (6)، وتقترب الضعيات بدلالة أخرى وهي السياق الذي هو عبارة عن وضعيات يقع فيها شيء، وتساعدك بالتالي على فهمه" (7). أما معجم روبير فيرى أن الضعيات هي " أن تكون في مكان أو حالة حيث يواجه الشيء أو يتموقع" (8) أي أن الضعيات هي التموقع المكاني أو الحالي في مكان أو وضع ما،

بينما يحدد السياق في هذا المعجم على أنه ” مجموعة من الظروف التي تحيط بالحدث ” (9). ويمكن أن نفهم من كل هذا أن الوضعية هي مجموعة من الظروف المكانية والزمنية والحالية التي تحيط بالحدث وتحدد سياقه. وقد تتداخل الوضعية مع السياق والظروف والعوائق والمواقف والمشكلات والصعوبات والاختبارات والمحكات والحالة والواقع والإطار والإشكالية... الخ.

وتعرف الوضعية في مجال التربية والديداكتيك بأنها ” وضعية ملموسة تصف، في الوقت نفسه، الإطار الأكثر واقعية، والمهمة التي يواجه التلميذ من أجل تشغيل المعارف المفاهيمية والمنهجية الضرورية، لبلورة الكفاية والبرهنة عليها ” (10). أي أن الوضعية واقعية ملموسة يواجهها التلميذ بقدراته ومهاراته وكفاءاته عن طريق حلها. والوضعيات ليست سوى التقاء عدد من العوائق والمشاكل في إطار شروط وظروف معينة. إن الوضعية- حسب د. محمد الدريج- ” تطرح إشكالا عندما تجعل الفرد أمام مهمة عليه أن ينجزها، مهمة لا يتحكم في كل مكوناتها وخطواتها، وهكذا يطرح التعلم كمهمة تشكل تحديا معرفيا للمتعلم، بحيث يشكل مجموع القدرات والمعارف الضرورية لمواجهة الوضعية وحل الإشكال، ما يعرف بالكفاية ” (11). ونفهم من هذا، أن الوضعية هي مجموعة من المشاكل والعوائق والظروف التي تستوجب إيجاد حلول لها من قبل المتعلم للحكم على مدى كفاءته وأهليته التعليمية / التعليمية والمهنية. وتعتبر المواد الدراسية مجموعة من المشاكل والوضعيات، ولاسيما أنه ينبغي أن نعد التلميذ للحياة والواقع لمواجهة التحديات والصعوبات التي يفرضها عالمنا اليوم، وأن يتعلم الحياة عن طريق الحياة؛ وألا يبقى التلميذ رهين النظريات المجردة البعيدة عن الواقع الموضوعي أو حبيس الفصول الدراسية والأقسام المغلقة والمسيجة بالمثاليات والمعلومات التي تجاوزها الواقع أو التي أصبحت غير مفيدة للإنسان. أي أن فلسفة الوضعيات مبنية على أسس البراجماتية كالمنفعة والإنتاجية والمردودية والفعالية والفائدة المرجوة من المنتج، والإبداعية، وهو تصور الفلسفة الذرائعية لدى جيمس جويس وجون ديوي وبرغسون والثقافة الأنجلو سكسونية بصفة عامة.

3/ سياق بيداغوجية الوضعيات:

لا يمكن فهم الوضعيات إلا إذا وضعناها في سياقها الاجتماعي والتاريخي، وهو نفس سياق بيداغوجية الكفايات، إذ استلزم التطور العلمي والتكنولوجي المعاصر منذ منتصف القرن العشرين توفير أطر مدربة أحسن تدريب لتشغيل الآلة بكل أنماطها؛ مما دفع بالمجتمع الغربي ليعيد النظر في المدرسة وطبيعتها ووظيفتها وذلك بربطها بالواقع والحياة وسوق الشغل لمحاربة البطالة والفسل المدرسي واللامساواة الاجتماعية. ويعني هذا ربط المدرسة بالمقولة والحياة المهنية والعولمة والقدرة التنافسية المحمومة. أي على المدرسة أن تفتح على الواقع والمجتمع لتغييرهما وإمدادهما بالأطر المدربة والكفئة والتميزة، فلا قيمة للمعارف والمحتويات الدراسية إذا لم تقترن بما هو وظيفي ومهني وتقني وحرفي. إذا، كل هذه العوامل هي التي كانت وراء عقلنة المناهج التربوية وجعلها فعالة ناجعة ذات مردودية تأطيرية وإبداعية.

وقد حاولت دول العالم الثالث، بما فيها الدول العربية (تونس والمغرب وسلطنة عمان مثلا)، أن تتمثل هذا النموذج التربوي القائم على بيداغوجية الكفايات والوضعيات لمسيرة المستجندات العالمية ومتطلبات السوق اللبرالية وتفادي البطالة والثورات الاجتماعية وظاهرة الهجرة بكل أنواعها، وحاولت تبينتها في مدارسها لخلق الجودة والعقلانية وتحصيل المردودية الفعالة. وبذلك أصبحت التربية تابعة للسياسة الاقتصادية للدولة وظروفها الاجتماعية والتمويلية. ويقول نيكو هيرت في هذا الصدد: ” ما هو إذا عالم اليوم هذا؟ يتميز محيطنا الاقتصادي بعنصرين اثنين: أولاً تقلب بالغ وثانية اجتماعية قوية. ينجم عن احتدام الصراعات التنافسية وإعادة الهيكلة وإغلاق المصانع وترحيل وحدات الإنتاج، واللجوء المتسارع إلى اختراعات تكنولوجية زائلة أكثر فأكثر (سواء في مجال الإنتاج أو في مجال الاستهلاك). وفي هذا السياق تتمثل إحدى أهم مساعي أرباب العمل في المرونة: أي مرونة سوق العمل ومرونة العامل المهنية والاجتماعية ومرونة أنظمة التربية والتكوين وقابلية تكيف المستهلك.

ما زالت سوق العمل حالياً منظمة بشكل قوي على أسس المؤهلات، أي على أساس الشواهد. وتمثل الشهادة جملة معارف ومهارات معترف بها، تخضع لمفاوضات جماعية وتخول حقوقاً بشأن الأجور وشروط العمل أو الحماية الاجتماعية. وإتاحة دوران أكثر ليونة لليد العاملة، بات أرباب العمل يسعون لتدمير هذا الثنائي المتصلب: مؤهلات- شواهد، واستبداله بالثنائي كفايات- شواهد مبنية على وحدات تكوين (مصوغات أو مجزوعات) ” (12). Modulaire.

4/ أنواع الوضعيات:

إن الوضعيات مجموعة من الأطر والمؤشرات والظروف السياقية التي تحدد المشكلات والعوائق والصعوبات التي تواجه التلميذ المتسلح بمجموعة من المعارف والقدرات والكفايات الوظيفية قصد حلها والحصول على إجابات وأفية وصحيحة للبرهنة على صدق هذه الكفايات والقدرات المكتسبة عبر مجموعة من التعلّيمات المدرسية المنجزة مسبقاً. ويمكن أن نضع التلميذ أمام عدة وضعيات تبرز طبيعة الكفاية لدى التلميذ، وهذه هي التي ستحدد لنا أنماط الوضعيات – المشاكل على مستوى مؤشرات الأطر السياقية:

1- الوضعية المكانية:

- أن يكون التلميذ قادراً على كتابة الإنشاء داخل القسم؛
- أن يكون قادراً على إجراء التجربة داخل المختبر.

2- الوضعية الزمنية:

- أن يكون التلميذ قادراً على كتابة قصيدة شعرية في ساعتين؛
- أن يقطع التلميذ مسافة 40 كلم في ساعتين.

3- الوضعية الحالية:

- أن يمثل التلميذ هذا الدور المسرحي بطريقة كوميدية؛
- أن يسبح التلميذ على ظهره في مسبح المدرسة.

4- الوضعية الأداة أو الوسائلية:

- أن يكتب التلميذ نصاً من ألف كلمة بواسطة الكمبيوتر؛
- أن يقفز التلميذ بواسطة الزانة.

5- الوضعية الحديثة أو المهارية:

- أن يكون التلميذ قادراً على إنجاز تقطيع هذا البيت الشعري وتحديد بحره؛
- أن يكون التلميذ قادراً على إصلاح الآلة الموجودة فوق الطاولة.

6- الوضعية التواصلية:

- أن يكون قادراً على استخدام أسلوب التحذير، وهو يتكلم بالإسبانية مع شخص يدخل سيجارة في الحافلة؛
- أن يكون قادراً على التواصل بالإنجليزية، وهو يكتب رسالة إلى صديقة البريطاني في لندن.

و يمكن أن نحدد أنواعاً أخرى من الوضعيات الموقفية قياساً على ما ذهب إيريبيان إليه (13) في تصنيفه للكفايات:

IRIBANE

1- وضعيات التقليد والمحاكاة:

ترتكز على مهمات التقليد وإعادة المعارف والمهارات المكتسبة عن طريق التطبيق والمماثلة والحفظ والآلية وإعادة (وضعيات الاجترار).

2- وضعيات التحويل:

تنطلق من وضعية معينة من العمل لتطبيقها على وضعيات غير متوقعة لكن قريبة، وذلك بالتفكير بالمثل والاستفادة من الوضعيات السابقة لحل الصعوبات عن طريق تحويلها لإيجاد الحلول المناسبة (وضعيات الاستفادة والامتصاص).

3- وضعيات التجديد:

تنتقل من مواجهة مشاكل وصعوبات وعراقيل جديدة وتقديم حلول مناسبة لها. (وضعيات الحوار و الإبداع). ويمكن تصنيف الوضعيات من الناحية التقويمية المعيارية على النحو التالي:

1- وضعية أولية:

يتم طرح مجموعة من الوضعيات الإشكالية للتعلم أثناء بداية الدرس أو قبل الشروع فيه إما في شكل مراجعة وإما في شكل إثارة قدراته الذاتية والمهارية.

2- وضعية وسيطية:

يقوم التلميذ أثناء التعلم والتكوين وفي وسط دراسة المجزوءة للتأكد من قدرات التلميذ التعليمية والمفاهيمية والمهارية. وضعية نهائية:

3- يوجهها التلميذ في نهاية الدرس، وهي التي تحكم على التلميذ إن كان كفئاً أم لا؟ وهل تحققت عنده الكفاية أم لا؟ وهل أصبح قادراً على مواجهة الصعوبات والوضعيات الإشكالية والمواقف الواقعية؟ وهل تحقق الهدف المبتغى والغاية المنشودة من التكوين والتعلم الذاتي أم لا؟

وهذه الوضعيات تتناسب تماثلياً مع التقويم الأولي والتكويني والإجمالي في إطار العملية التعليمية – التعليمية.

ومن حيث المحتوى، فهناك وضعيات معرفية (ثقافية)، ووضعيات منهجية، ووضعيات تواصلية، ووضعيات وجدانية أخلاقية، ووضعيات حركية، ووضعيات مهنية تقنية...

5 / خصائص الوضعية- المشكل:

مجموعة من الخصائص التي يجب أن تتميز بها ASTOLFI حد د وضعية المشكل الجيدة، نذكر منها (14):

- 1- ينبغي أن تحدد الوضعية عانقا ينبغي حله؛
- 2- أن تكون الوضعية حقيقية ملموسة وواقعية تفرض على التلميذ صياغة فرضيات وتخمينات؛
- 3- تشبه هذه الوضعية لغزاً حقيقياً ينبغي حله و مواجهته بالقدرات المكتسبة؛
- 4- تكون ذات خصوصية تحدد مجال فعل الكفاية؛
- 5- توصف ضمن لغة واضحة ومفهومة من قبل التلميذ؛
- 6- تتطلب الوضعية معارف وقدرات ومهارات تساهم في تكوين الكفاية في شتى مستوياتها المعرفية والحركية والوجدانية؛
- 7- تتشابه مع وضعية حقيقية يمكن أن تواجه الأفراد خارج المدرسة، ضمن الحياة المهنية أو الحياة الخاصة؛
- 8- يعد للتلميذ مشكلاً حقيقياً لا يكون فيه الحل بديهياً؛
- 9- تشكل الوضعية فرصة يثري فيها التلميذ خبراته؛
- 10- تحدد الوضعية وفق المستوى المعرفي للتلميذ.

6 / أهمية الوضعيات- المشاكل:

للوضعيات أهمية كبيرة في اختبار المناهج الدراسية وتقييم المدرسة والتميز بين التقليدية والجديدة منها، ومعرفة المدرسة المنغلقة من الوظيفية. إن الوضعيات بيداغوجية الكفاءة والمردودية وإبراز القدرات والمهارات والمواهب المضمررة والظاهرة. إنها تربية المشاكل والحلول والتعلم الذاتي وتجاوز الطرائق التقليدية القائمة على التلقين والحفظ وتقديم المعرفة والمحتويات بواسطة المدرس إلى التلميذ السلبي. كما أن تربية الوضعيات هي التي تفرز الكفاءات والقدرات العقلية وتربط المدرسة بالواقع وسوق الشغل ليس من خلال الشواهد – المؤهلات بل من خلال الشواهد – الكفايات. بيد أن هذه الوضعيات والكفايات ليست عصا سحرية لمعالجة كل مشاكل وزارات التربية والتعليم كاحتفاظ التلاميذ في الفصول الدراسية، وتكوين المدرسين، وإيجاد الحلول المناسبة للوضعية الاجتماعية للمدرسين، وتوفير الوسائل والإمكانات المادية والبشرية، بل إن طريقة التعليم بالكفايات والوضعيات طريقة بيداغوجية لعقلنة العملية الديدانكتيكية وتفعيلها بطريقة علمية موضوعية على أسس معيارية وظيفية وربط المدرسة بالحياة والشغل وسوق العمل وحاجيات أرباب العمل والمنافسة

ومقتضيات العولمة، وكل هذا يتطلب تغيير عقلية الإدارة والمدرس والتلميذ والآباء والمجتمع كله. ولا ينبغي أن تبقى الوضعيات والكفايات في إطارها الشكلي أو بمثابة موضة عابرة أو حبيسة مقدمات الكتب المدرسية وتوجيهات البرامج الدراسية وفلسفتها البعيدة كغايات ومواصفات مثالية نظرية بدون تطبيق أو ممارسة فعلية وميدانية. وهنا أستحضر قولة معبرة بكل وضوح لما نريد أن نقصده لمبلور الكفايات فيليب بيرنو: "إذا ظلت المقاربة بالكفايات على مستوى الخطاب لهثا وراء الموضة، فإنها ستغير النصوص لتسقط في النسيان... [...] أما إذا كانت تطمح إلى تغيير الممارسات، فستصبح إصلاحاً من "النمط الثالث" لا يستغني عن مساءلة معنى المدرسة وغايتها" (15).

7/ بطاقة تقنية لبيداغوجيا الوضعيات والكفايات:

ليكون موضوعنا ميدانيا وإجرائيا ارتأينا أن نقدم جذاذة وصفية لطريقة التدريس بالكفايات والوضعيات بدلا من الوصف النظري المجرد قصد تفعيل العملية الديدانكتيكية وعقلنتها على أسس الوعي والتطبيق والممارسة والتقييم المعياري. وإيكم هذه البطاقة التقنية:

المجـزوءة: العربية

عنوان المجزوءة: المناهج النقدية (المنهج النفسي)

الفئة المستهدفة: 2 باك أدبي

المدة الزمنية: ساعة واحدة

الغايات والمواصفات: أن يكون التلميذ مواطناً صالحاً ومثقفاً يتذوق الأدب ويقدر على نقده ويساهم في إثراء الساحة الأدبية والنقدية المغربية أو العربية أو العالمية.

الهدف الختامي: أن يكون التلميذ متمكناً من المنهج النفسي وقادراً على تطبيقه على قصيدة ابن الرومي في رثائه لابنه الأوسط على ضوء مفاهيم سيغموند فرويد.

الوسائل الديدانكتيكية: الوثائق النصية (الكتاب المدرسي- ديوان أبي نواس- كتب فرويد في علم النفس- مراجع ومصادر أخرى....)

::: الدكتور جميل حمداوي

المراجع والمصادر:

1- GILLET , P : « L' utilisation des objectifs en formation , contexte et évolution » – 1

; Education permanent , Nr :85 , octobre 1986 , p :17-37

2- بيبير ديشي: تخطيط الدرس لتنمية الكفايات، ترجمة عبد الكريم غريب، منشورات عالم التربية، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 2003، ص: 121؛

3- باولا جوننتيل وروبيرتا بنتشيني: (بناء الكفايات: مقابلة مع فيليب بيرنو)، الكفايات في التدريس بين التنظير والممارسة، تعريب: محمد العمارتي والبشير اليعكوبي، مطبعة أكدال، الرباط، ط 1، 2004، ص: 41؛

4- د. محمد الدريج: الكفايات في التعليم، المعرفة للجميع، أكتوبر 2000، العدد 16، ص: 61؛

5- ابن منظور: لسان اللسان، ج 2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1993، ص: 743؛ والمعجم الوسيط لأحمد حسن الزيات وآخرين، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا، ص: 1039؛

6- Oxford advanced learner's, Dictionary Oxford university press 2000 ; p : 1109 -6

; Ibid, p : 247 -7

; Paul robert : Le Petit Robert, Paris, éd, 1992, p : 378 -8

; Ibid, p : 1820 -9

10- بيير ديشي: تخطيط الدرس لتنمية الكفايات، ص:181؛

11- د. محمد الدريج: نفس المرجع السابق، ص: 60؛

12- نيكو هرت: (بصدد المقاربة عبر الكفايات هل نحتاج إلى عمال أكفاء أم إلى مواطنين نقديين؟)، الكفايات في التدريس

بين النظرية والممارسة، مطبعة أكدال، الرباط، ط 1 / 2004، ص: 50 / 49؛

A regarder : A , IRRIBANE : « La compétitivité, Défi Social, Enjeu éducatif », CNRS, -13

; Paris, 1989

Astolfi, j, p : « Placer les élèves en situation – problème ? », dans Probio revue, 16, 4, -14

Bruxelles : Association des professeurs de biologie (ASBL), 1993

15- حسن بوتكلاي: (مفهوم الكفايات وبنائها عند فيليب بيرنو)، الكفايات في التدريس بين التنظير والممارسة، مطبعة

أكدال، الرباط، ط 1، 2004، ص: 24

محطة:.. رأي, فكر وفلسفة |

